

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي
جامعة جيلالي بونعامة



كلية العلوم الاجتماعية و الانسانية
قسم العلوم الاجتماعية
شعبة علم الاجتماع
الأستاذة: لعماري ليندة

**محاضرات في مقياس المنهجية
السنة الثانية علم الاجتماع ليسانس**

2020-2019

تكملة لمحور بناء موضوع بحث في علم الاجتماع:
(تابع: محاضرة عناصر انتاج المعارف العلمية لبناء الاشكالية)

تذكير:

كما سبق شرحه في المحاضرات السابقة، عملية بناء موضوع بحث في علم الاجتماع تمر بمرحلتين أساسيتين، الأولى يتم فيها بناء الاشكالية (من خلال اتباع ثلاثة مراحل) بهدف القيام بقطيعة إبستمولوجية مع الأفكار المسبقة، ثم في مرحلة ثانية يتم فيها بناء النموذج التحليلي (بناء المفاهيم و الفرضيات).

تابع:

.....

دور الجهاز التصوري الذي ينطلق من مسلمة أساسية مفادها أن تلك الأحداث المشتتة و المنعزلة ما هي الا قطع لصورة ينبغي تحديد اطارها و وضع العناصر داخلها بحيث تكون في نهاية المطاف الصورة المتكاملة، فالجهاز التصوري للباحث سيقوم بمهمة الاستقراء و الاستنباط في آن واحد، من خلال الذهاب و الاياب بين القراءات الاستطلاعية، و الدراسة الاستكشافية الميدانية- و هنا تظهر المرحلة الاستكشافية كمرحلة جوهرية ستساعد الباحث في ايجاد معاني و دلالات الأحداث و الظواهر-، التي لا بد على الباحث ادراجها في اطارها الصحيح، أي وضع الأجزاء في كل يهيكلها.

و هنا يمكن فرز حالتين يوجد أمامهما الباحث:

- هيكلة الأفكار التي تم استقاؤها من الدراسة الاستكشافية الميدانية و التي تبدوا مشتتة في كل متكامل و منسجم، أي محاولة ايجاد العلاقة بين العناصر المتفرقة التي تم جمعها في الميدان.
- اعادة هيكلة الأفكار التي تم اسقاؤها من الدراسات السابقة و ذلك من خلال اعادة النظر في كيفية طرحها للموضوع و كذا العناصر التي تم الأخذ بها لبنائه و علاقتها مع بعضها البعض و منطق سيرورتها و ديناميكيتها (تحديد الاطار النظري للدراسة).

أثناء قيام الجهاز التصوري للباحث بهذه العمليات فهو يقوم بتحديد ما اصطلح تسميته بإشكالية الموضوع، من خلال الاستبقاء على العناصر الأساسية التي ستمكنه في تفسير و فهم الظاهرة المدروسة (كما هي في الواقع، في تلك الفترة الزمنية، في السياق الاجتماعي، الاقتصادي، السياسي.....).

و يجب التنويه الى انه أثناء تحديد الاطار النظري، تكون مهمة الجهاز التصوري اكتشاف:

- المفاهيم الأساسية المستعملة.
- النظريات و المقاربات المنهجية المتبناة لمعالجة و دراسة الظاهرة.

لذلك على الباحث أن يقوم بجرد قدر المستطاع كل الدراسات التي تناولت الموضوع بطريقة مباشرة أو غير مباشرة و طرح الأسئلة في نفس الوقت حولها من خلال اتباع النقد البناء لها.

2.1 وظيفة و دلالة الاشكالية:

من خلال تعريفنا للإشكالية في المحاضرات السابقة على أنها التصور العام للموضوع أو المساءلة النظرية للواقع او الظاهرة التي يريد الباحث دراستها فهي بذلك تمثل فعل إبستمولوجي يتمثل في القطيعة مع الخطاب العام و الأحكام القيميّة.

الدلالة المعطاة للإشكالية هنا، هو وضع عناصر الموضوع ضمن تصور شامل و منسجم يقوم الباحث نفسه في اقتراحه كإطار يدرج مجمل تلك العناصر فيه بحيث تضي عليه نوع من التماسك المنطقي: بدءا بتحديد الإطار النظري للموضوع، مروراً بتحديد الأهداف و تحديد الأدوات المستخدمة طيلة عملية البحث، و أخيراً وضع الفرضيات.

الإشكالية تقوم بوظيفة تهيئة الشروط النظرية لإنتاج موضوع بحث علمي (أي تحديد الأدوات النظرية الملائمة لدراسة الظاهرة الاجتماعية وفق ما تم ملاحظته في الواقع):

- **تحديد الإطار أو الحدود النظرية للموضوع:** نعني به فك اشتباكه (أي الموضوع) مع عناصر من المواضيع الأخرى و الكفيلة بأن تختلط معه، أي نزع الالتباس المحتمل و أخذ الاحتياط من سوء التأويل.

إن عملية تحديد الموضوع، تحتاج إلى تحديد ما به يحدد الموضوع و يقصد بذلك المفاهيم و المصطلحات المستعملة، و التي تشكل أدوات تحليل تسمح بالتحكم في الواقع فكرياً و عقلياً.

الشرح: العلم في جوهره يقوم بمبدأ اختزال العالم المحيط بنا في ترسانة من المفاهيم و هذا للتحكم فيه ذهنياً و فكرياً و إنتاج دلالات حوله.
فغالباً ما يجري اختزال العالم الذي يحيط بنا في تصورات و تمثيلات بهدف تمثيله عبر استخدام المفاهيم، فالمفهوم عبارة "عن تصور ذهني عام و مجرد لظاهرة ما" فعلى سبيل المثال مفهوم الاغتراب يتقدم في صورة ذهنية لا يمكننا ملاحظته في الواقع الملموس، بل هو مجرد بناء و تصور ذهني مجرد يترجم مستويات معينة من الواقع الاجتماعي.
فالعلم لا يقوم فقط على وصف ما هو معطى للعيان بكل جزئياته و إنما يقوم على خلقه من جديد بواسطة تنظير معطياته و ربط جزئياته ربطاً دلالياً، تعطيه في نهاية المطاف صورة ذهنية معقولة بالكشف عن ميكانيزمات ديناميكية و سيرورتها في إطار التطور التاريخي للمجتمع ككل.

الحاجة إلى ضرورة تحديد المصطلحات، أثناء عملية تحديد الموضوع، تنطلق من مسلمة أساسية مفادها أن للمصطلحات مضامين مختلفة حسب وجهة نظر كل باحث، فليس للمصطلح معنى ثابت، حيث لا بد التمييز بين المعنى القاموسي الثابت و المعنى الضمني الذي يستنبط من السياق و من الإطار النظري الذي يوظفه و يستخدمه. فهناك مفاهيم مثل الأسرة، الطبقة الاجتماعية، الدولة التفاعل الاجتماعي و غيرها من المفاهيم كانت و لا تزال موضوع إعادة تعريف دائمة.

مثال: نجد أن في العديد من الدراسات السوسولوجية يقع لبس في استخدام مصطلح **الأسرة**، رغم أنه لا يشير إلى العائلة

إلا أن الكثيرين من الباحثين يستخدمان المصطلحين و كأنهما يشيران إلى نفس المعنى. فتحديد التعريف الخاص للمفهوم، المقصود به المعنى المتضمن له في هذا البحث بالذات، و ترك المصطلحات من غير تحديد هو فتح المجال لسوء الفهم لاحقاً.

- **تحديد أدبيات الموضوع:** للإشكالية وظيفة أخرى تتمثل في تحديد موقع موضوعها ضمن ما يعرف بأدبيات الموضوع، و المقصود بذلك تحديد الموقف النظري و المنهجي من جملة ما قيل حول موضوع مطروق، فإذا كان الموضوع جديد لم يسبق تناوله فلا مجال للباحث هنا أن يتعرض لما قيل حول

الموضوع، و بخلاف ذلك اذا تناول الباحث موضوعا تطرق اليه باحثون آخرون، و جب عليه هنا بيان موقفه مما قيل و كيفية تناول الموضوع، سواء تعلق الأمر بالمحتوى أو طرق تناوله منهجيا، أي القيام بدراسة نقدية لهذه الدراسات.

و هنا نتساءل حول فحوى التطرق لأدبيات الموضوع أو معرفة أدبيات الموضوع؟

انه من غير المنطقي أن يعرف الباحث ما هو الجديد الذي سوف يقدمه في هذا الموضوع و الذي تطرق اليه غيره من قبله، ما لم يعرف أين وصل البحث و التفكير فيه من جوانبه النظرية و المنهجية. الاطلاع بما تركه الباحثون من دراسات، نظريات و مناهج و بنائهم لمفاهيم جديدة يجعل الباحث مؤهلا لمعرفة حدودهم و ميدان قصورهم (أي وجود ثغرات في دراساتهم، عدم توضيح و تفسير جوانب معينة من الظاهرة.....) و بالتالي اتاحة الفرصة للباحث طرح بديل لتجاوز هذه الثغرات من خلال استخدام النقد البناء.

عملية البحث هنا تتخذ طابع الاستئناف لا طابع التدشين مشكلة بذلك عملية امتداد واعي لجهود بحثية سابقة و مكملو لهم. فكل نهاية و حوصلة جهود سابقة تعتبر نقطة انطلاقا لجهود لاحقة.

- **تحديد هدف الدراسة:** تحديد هدف البحث هو المرحلة الدقيقة و الهامة أثناء عملية تحديد الاشكالية، هي **دقيقة** لأنها تستلزم تصورا لما يراد اظهاره و البرهنة عليه و لأنها توجه كافة الجهود اللاحقة، و **هامة** لأنها عملية يتوقف عليها نوع المعطيات المراد جمعها، كما تتوقف عليها المرحلة الثانية من بناء الموضوع و المتمثلة في بناء النموذج التحليلي (الفرضيات)، الذي يقوم على تنظيم البحث و توجيهه. أهداف البحث، سواء كانت متعلقة بالأفراد أو الهيئات، تتحكم فيها جملة من الاعتبارات الذاتية منها و العلمية و مكانية توافر المعطيات التي يمكن ابراز الفكرة أو تفنيد أفكار و نظريات اعتبرت قاصرة في فهم الواقع أو مضللة.

(مثلا: في العالم الغربي، برز مع نهاية الحرب العالمية الثانية بشكل كبير تطبيب هائل لكل مظاهر الحياة خاصة ما تعلق بالظاهرة الانجابية، حيث أصبحت الولادات تتم بشكل حصري في فضاءات صحية، أكثر من ذلك أصبح الحمل يتابع طبيا بهدف حماية الام و الجنين من مخاطر الوفيات، لتتحول ظاهرة طبيعية تخص النساء بشكل حصري، الى ظاهرة طبية يتدخل فيها الرجل بعد أن كان وجوده منعدم في الماضي. برزت تيارات فكرية، تعرف بالتيار النسوي، أخذت من دراساتها هدف أساسي يتمثل في اظهار كيف ان التطبيب المتزايد للحمل و الولادة ما هو الا وجه من الهيمنة الذكورية، أفقد الظاهرة الانجابية بعدها الانساني، اكثر من ذلك جعل المرأة غير متحكمة بجسدها و خاضعة للمنطق الطبي، هذا الهدف له بعد إيديولوجي و ذاتي رغم ان الطرح صحيح يجعل الدراسات تأخذ بعد نضالي قد يحجب عناصر مهمة في ظاهرة التطبيب).

من جملة الأهداف التي عادة ما يجري الوصول اليها، اما المساهمة في تعميق المعرفة في موضوع عولج من قبل على نحو سطحي، أو توسيع المعرفة فيه، أو تفنيد تصورات سائدة أو مضللة أو اعادة صياغته من جديد أي تجميع أشياء مبعثرة لبناء تصورات و دلالة جديدة، أو تجريب نظريات جديدة.....الخ. و لصياغة هدف الدراسة لا بد التقيد بجملة من الشروط، اهمها:

- ضرورة تحديد هدف مصاغ بطريقة تكون قابلة للإنجاز: لأن تحديد هدف أو اهداف طموحة جدا في ظل غياب معطيات أو وجود معطيات غير كافية لتحقيقه قد تشكل عائقا لمواصلة البحث، اذن من الضروري مراعاة بين الهدف و الوسائل الموصلة اليه، و كل خلل في هذه العلاقة يتسبب في ضياع الوقت و الجهد معا.

في الأخير يمكن القول أن بناء الاشكالية ليس بالأمر الهين، لأنه يتطلب من الباحث أن يكون يقضا، متحكما في ذاتيته باعتبار أن الهدف الأساسي من بناء الاشكالية هو استنباط ما هو وراء الظواهر و الكشف عن المشاكل الحقيقية و العوامل المتحكمة فيها و التي لا تظهر مباشرة مثلما هو الحال مع الأفكار الساذجة. بناء الاشكالية يكون على مراحل متتالية: طرح سؤال الانطلاقة، الدراسة الاستكشافية ثم أخير طرح الاشكالية، هذا الطرح الذي يشمل، تبني نظرية أو ما يعرف بالمقاربة النظرية بالتالي تحديد المصطلحات العلمية، الدراسات السابقة و أخيرا هدف الدراسة.

2 بناء النموذج التحليلي:

إذا كانت وظيفة الاشكالية القيام بقطيعة مع كل الأفكار المسبقة، فإن هذه القطيعة تتجسد بموضوعية في مرحلة البناء- بناء النموذج التحليلي- ، أين يستعين الباحث بمقاربة نظرية (مفاهيم علمية) يبني من خلالها مجموعة من الاقتراحات لتفسير و فهم الظاهرة المراد دراستها، و النموذج التحليلي يمثل امتداد طبيعي للإشكالية يشمل على الفرضيات و كذلك المصطلحات بحيث تكون متداخلة فيما بينها و تشكل معا نموذجا لتحليل الظاهرة. و يكون النموذج التحليلي بمثابة المرحلة التي ينتقل فيها الموضوع من الجهاز التصوري الى الواقع.

1.2 الفرضيات:

حتى يصبح سؤال البحث عبارة عن ظاهرة يمكن ملاحظتها في الواقع، يجب تحويل سؤال البحث الى فرضية، وفي حالات استثنائية الى هدف لما يتعذر على الباحث بناء فرضيات مثلما هو الحال في الدراسات الاستكشافية. انطلاقا من الفرضية نستخرج المفاهيم التي لا بد علينا من تحليلها بغية منحها طابعها الملموس. بذلك نقوم ببناء نموذج تحليلي الخاص بالبحث و هو المرحلة الرابعة من مسار البحث التي أشار اليها الباحثان ريمون كيفي و لوك فان كابنهات في كتابهما. الفرضية في تعريفها العام، هي مشروع اجابة عن السؤال أو الأسئلة المطروحة لتفسير الظاهرة موضوع المعاينة و الملاحظة.

الفرضية بهذا المعنى، تقوم بترشيح سبب يكون وراء ما يجري ملاحظته و كان موضوع تساؤل و حيرة، اذن بالفرضية تعتبر أول عملية تضفي طابعا ملموسا على سؤال البحث بالمحاولة الاجابة عنه، غير انه توجد حالات لا يمكن للباحث أن يعطي فرضية أو فرضيات للسؤال المطروح **فعندئذ تعوض الفرضية بهدف البحث.**

تظهر أهمية الفرضية في عملية توحيد جهود البحث و تنسيقها حول نقطة محددة دون غيرها، من خصائصها:

- **التصريح:** هي تصريح يوضح في جملة أو أكثر علاقة قائمة بين **حدين** أو أكثر (أي بين عامل أو أكثر).

(مثال: الطلبة المتغيبون عن المحاضرات هم في غالبيتهم من الطلبة الذي تحصلوا على معدلات ضعيفة في البكالوريا.)

- **التنبؤ:** هي عبارة أيضا عن تنبؤ لما سنكتشفه في الواقع، اي أن الفرضية هي جواب مفترض و معقول للسؤال الذي نظرته.

(مثال: توجيه الطلبة الى تخصصات غير مرغوبة يؤدي الى الرسوب)

- **وسيلة للتحقق:** هي أيضا وسيلة لتحقق الأمبريقي، و نعني بتحقيق الأمبريقي، العملية التي تتم من خلال معرفة مدى مطابقة التوقعات أو الافتراضات للواقع، اي الظواهر. التحقيق الميداني يتضمن ملاحظة الواقع و الفرضية سوف توجه هذه الملاحظة.
(مثال: توضيح العلاقة بين توجيه الطلبة و الرسوب من خلال ملاحظتنا لها في الواقع).

لا بد الاشارة الى نقطة أساسية و جوهرية يتميز بها النموذج التحليلي، أو بالأحرى يتأثر بها النموذج التحليلي، حيث أنه في حالة تبني **المنهج الكيفي** لدراسة الظاهرة، فان النموذج التحليلي سيأخذ شكلا مغايرا عن الشكل الذي سيأخذه اذا ما تم اختيار **المنهج الكمي** لدراسة الظاهرة.
و يمكن تفسير ذلك أن البحث الكيفي عادة ما يحمل خاصية الريادة أو انه يفحص الظواهر التي يصعب **قياسها** مثلما هو الحال في البحوث الكمية، لذلك فانه لا يستطيع أن يتوقع دائما ما سيتوصل اليه الى اكتشافه لاحقا، اذن فحسب الباحثين تنحصر عملية بناء النموذج التحليلي في الاحاطة بسؤال البحث فقط دون صياغة الفرضية (Massé 1992) و دون تقديم فرضيات قابلة للتعديل (Deslauries 1991).
فالبحوث الوصفية عامة تقدم الاجابة عن السؤال في صيغة **هدف بحث** و الذي نقصد به تصريح عن غاية للإجابة عن سؤال البحث و يستلزم هو الآخر القيام بتحقيق أمبريقي.
أي أن بناء النموذج التحليلي يفرض نفسه بشكل أساسي في الدراسات الكمية، لأن الوسيلة المنهجية المعتمدة لجمع البيانات في هذا النوع من الدراسات تتمثل في **تقنية الاستمارة**، و التي يتم بناؤها و يرتبط بشكل حصري ببناء النموذج التحليلي.

أ/ حدود الفرضية:

الحديث عن حدود الفرضية، يقودنا الى الحديث عن العناصر المكونة للفرضية، نأخذ مثال: ترتفع نسبة الأمية في المناطق الريفية منها في المناطق الحضرية. هذه الفرضية تحتوي على الخصائص الثلاث الأساسية: انه تصريح يتنبأ و قابل لتحقيق. و لو دققنا اكثر الى الحدود المستعملة أي المفردات فنلاحظ أنها غير مبهمة، دقيقة، لها معنى و حيادية.

- **حدود غير مبهمة:** ينبغي ان يستعين الباحث بحدود تكون غير مبهمة (مفردات غير مبهمة)، و لا يجب أن يترك أي مجال للشك أثناء القيام بتأويلها، أي ان المعنى المراد من وراء الحدود يفهم بنفس الشكل للجميع، كلمة الأمية تشير بوضوح الى فئة من الناس التي لا تملك أية مستوى تعليمي، كما نفهم أننا نسعى الى المقارنة بين نوعين من المناطق (الريف، الحضر).
- **حدود دقيقة:** ماذا نقصد بحدود دقيقة؟ لنأخذ المثال التالي: مستهلكي السياحة الخارجية هم في غالبيتهم من أسر ذات مدخول يتجاوز مئة الف دينار. في هذا المثال أستخدم كلمة **دخل** بدلا من كلمة **أجر** و هذا تفاديا لعدم الدقة (لأن هناك من يتقاضى أجرة ضعيفة و لكن بالمقابل لديه مدخول متعدد (كراء محل، عمل اضافي...)).
- **حدود دالة:** ينبغي أن تكون الحدود المستعملة ذات معاني، أي أنها تعلمنا عن بعض التصور لهذا الواقع. هذا التصور للواقع ينحدر من نظريات ساهمت في توضيح الفرضية و توجيهها. و عليه فان الفرضية في العلم مستنبطة عادة من نظرية توفر الاطار التفسيري للظواهر التي نريد دراستها. (و هنا نرجع الى الاشكالية التي بنيت و تبنى الباحث نظرية معينة، تبنيه لهذه النظرية يجعله يتبنى المفاهيم الأساسية لهذه النظرية و التي ستصبح حدود للفرضية).
- **حدود حيادية:** ينبغي هنا على الباحث أن يستعمل حدودا حيادية، لا تصاغ على شكل تمنيات و لا على شكل أحكام شخصية حول الواقع.

ب/ أشكال الفرضية:

يمكن صياغة الفرضيات بكيفيات مختلفة، و يمكننا أن نميز بين ثلاثة أشكال أساسية حسب الباحثة (Isabelle Lasvergnas 1987):

● **الفرضية أحادية المتغير:** هذا النوع من الفرضيات يركز على ظاهرة واحدة بهدف التنبؤ بتطورها و مداها مثلا: الهجرة غير الشرعية في تزايد مستمر في السنوات الأخيرة. في هذا المثال نجد ان الباحث سيحاول حصر عمله على كلمة الهجرة غير الشرعية و تقييمها و هنا يأخذ البحث **الميزة الوصفية.**

● **الفرضية ثنائية المتغير:** تعتمد الفرضية ثنائية المتغير على عنصرين أساسيين يربط بينهما التنبؤ و هو الشكل المتعود عليه بالنسبة للفرضية العلمية التي تهدف الى **تفسير الظواهر.** ان هذه العلاقة الموجودة بين عنصرين يمكن أن تظهر في شكل تغير مشترك بمعنى ان احدى الظاهرتين تتغير بتغير الظاهرة الأخرى:

مثال: كلما ارتفع الوعي السياسي عند الشباب، ارتفعت نسبة المشاركة في الانتخابات. في هذا المثال نجد هناك ارتباط بين الوعي السياسي و نسبة المشاركة في الانتخابات، و من الناحية الاحصائية يكون الحديث **عن الارتباط** بين هاذين العنصرين.

من جهة أخرى قد تكون العلاقة في الفرضية ثنائية المتغير **علاقة سببية** انطلاقا من تقديم أحد العنصرين و كأنه سبب للآخر، هكذا يكون الأمر لما نجزم أن نجاح الزواج هو نتيجة للتقارب الاجتماعي للزوجين.

● **فرضية متعددة المتغيرات:** تجزم هذه الفرضية بوجود علاقة بين ظواهر متعددة، أي تتجاوز الاثنيتين. مثلا قد يصرح أن النساء اللواتي لهن نسبة خصوبة أكثر انخفاضاً، هن الأكثر تعليماً و الأكثر كفاءة و الأكثر تمدناً.

● **الخصوبة، التعلم، الكفاءة، التمدن** هي كلها حدود مترابطة مع بعضها البعض و يمكن تقديم هذه الحدود الأربعة على غرار الفرضية ثنائية المتغيرات و كأنها **مترابطة** أو ضمن **البعد السببي.** أي ان ظاهرة ما أو أكثر هي سبب لظاهرة أخرى أو أكثر هكذا يمكن الافتراض أن التمدن يرفع من نسبة التعلم لدى النساء و الذي بدوره يكون له أثر في الخصوبة و الكفاءة.

2.2 بناء المفاهيم (التحليل المفهومي): يعتبر التحليل المفهومي، سيرة تدرجية لتجسيد ما نريد ملاحظته في الواقع، يبدأ هذا التحليل أثناء شروع الباحث في استخراج المفاهيم من فرضية. فالحدود المستعملة في طرح سؤال أو الفرضية او هدف البحث تأخذ صبغة مفاهيم، هذه الأخيرة ما هي في الواقع الا تصورات ذهنية لمجموعة متنوعة من الظواهر التي نريد ملاحظتها.

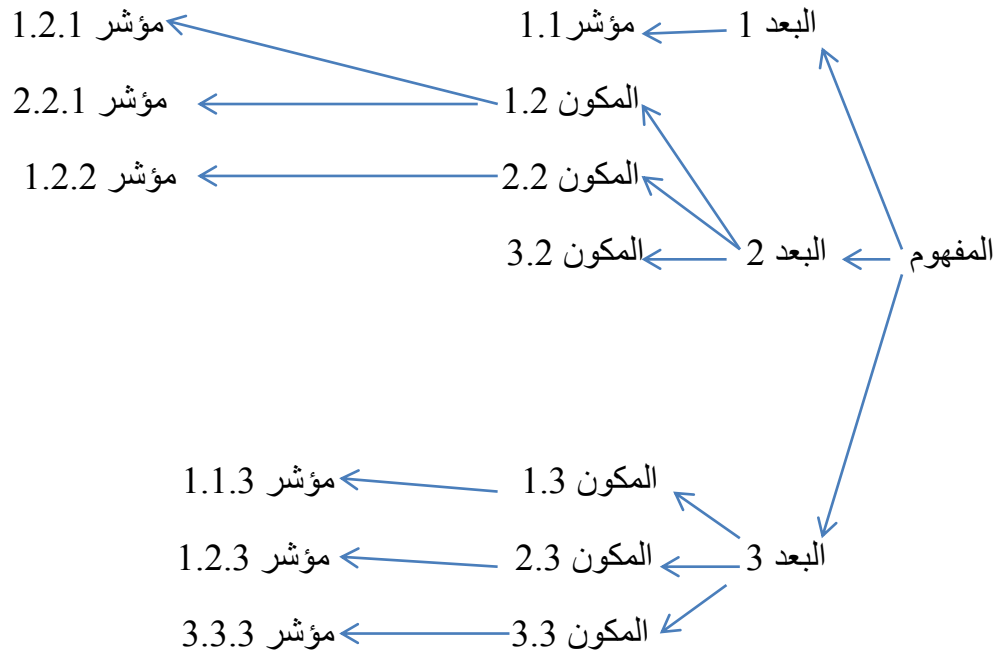
أ/ بناء المفاهيم:

تعتبر هذه العملية أكثر من مجرد تعريف أو مصطلح تقني، انها بناء مجرد يستهدف تفسير ما هو واقعي. و لهذه الغاية فإنها لا تتناول كافة الجوانب في الواقع المعني، بل تتناول فقط ما يعبر عما هو جوهري في هذا الواقع من وجهة نظر الباحث. (أي يختار الباحث المعاني التي يراها قريبة من الواقع الذي يدرسه).

اذن يتعلق الأمر هنا بعملية مزدوجة قوامها بناء و انتقاء.

مثال: اذا ما أخذنا كلمة فقير، فهي تجريد يلخص لنا في الواقع عددا من الأشخاص، لهم ما يكفي من السمات المشتركة و يختلفون بالتالي عن الفئات الأخرى من الاشخاص مما يسهل في تجميعهم تحت نفس التسمية.

يقوم بناء المفهوم أولا على تحديد الأبعاد المكونة له و التي يفسر بها أمور الواقع، ثم يتم تشريح كل بعد و تحويله الى مؤشرات أو ظواهر قابلة للملاحظة، في الأخير تأخذ بعض المؤشرات شكل متغيرات من أنواع مختلفة. و من المهم الإشارة الى انه توجد هناك مفاهيم بسيطة و أخرى معقدة حسب الأبعاد و المكونات و المؤشرات كما هو موضح في الشكل:



فكلما ارتفعت درجة تجريد المفهوم، كلما تطلب ذلك القيام بعدد أكبر من العمليات التجسيد للوصول الى مستوى الواقع الملحوظ.

لنأخذ مثال توضيحي لهذه العملية التي تجعلنا ننتقل من المستوى التجريدي الى الواقع الملموس من خلال مصطلحين:

مفهوم البكر ← الانتقال من المجرد الى الملموس في هذه الحالة يكون بسيطا (يكفي البحث في كل أسرة عن الطفل الأول الذي أنجبه الزوجان بعد الزواج) أي ترتيب الطفل هو مؤشر لمفهوم البكر و هنا لا نحتاج الى البعد و لا المكون.

مفهوم الرضى في العمل ← فهنا نجد المفهوم له بعد اقتصادي لا بد البحث عن الظواهر التي تعكسه في الواقع من خلال مؤشرات (الراتب، العلاوات، الترقية...)، و ايضا له بعد اجتماعي هو الآخر لا بد البحث عن الظواهر التي تعكسه في الواقع (طبيعة العلاقات بين الزملاء، بمحيط العمل، الادارة، الخ). بالتالي فإننا نجد عددا من الوقائع الملموسة تكون مجتمعة تحت لواء هذا المفهوم. ان هذا المجموع المعقد يعطي معنى للمفهوم أثناء تجسيده في الواقع.

• كيف يتم بناء المفهوم؟

هناك طريقتان لبناء المفهوم، و كل واحدة منها ستتوافق مع مستوى مختلف من الصياغة المفهومية. الأولى هي استقرائية تتمخض عنها مفاهيم اجرائية معزولة أو مفاهيم عملية، و الثانية استنباطية تولد مفاهيم نسقية.

- **المفهوم الاجرائي المعزول:** هو مفهوم مبني بطريقة تجريبية انطلاقا من المعاينات المباشرة أو معلومات جمعها الغير، أي هي مفاهيم ناشئة عن ملاحظة الواقع و كذا المقابلات و القراءات التي أجريت مرحلة الاستكشاف.
- **المفهوم النسقي:** يركز بناء المفاهيم النسقية على منطق العلاقات القائمة بين العناصر التي يتكون منها النسق، فالمفاهيم النسقية تتميز بالتشدد الاستنباطي و التركيبي، فهي لا تستقرأ من التجربة بل تبنى عن طريق التفكير المجرد: كالاستنباط، التماثل و التعارض و العلاقات الضمنية..... الخ و في أغلب الحالات يتصل هذا العمل المجرد باطار فكري أهم و أوسع يدعى مثالا أو نموذجا. اذن فالمفاهيم النسقية مستمدة من النظريات العلمية.

سواء تعلق الأمر بالمفهوم الاجرائي المعزول أو بالمفهوم النسقي، فان البناء يستدعي بالضرورة صياغة الأبعاد و المكونات و المؤشرات، كما يتميزان بدرجة القطع مع الأفكار المسبقة. و للإشارة، فان المفهوم الاجرائي المعزول يقع في منتصف الطريق بين المفهوم النسقي و الأفكار المسبقة.

1. أبعاد المفهوم:

انطلاقا من تعريف المفهوم على أنه تصور تجريدي، فان الشروع في تجسيده يتطلب تفكيكه الى أبعاده المختلفة، و عليه يتعلق الأمر هنا بفحص معانيه العميقة و تقبل فكرة أنه يشير جوانب من الواقع يمكن أن تكون متنوعة الى أقصى حد.

ان هذه الأوجه المختلفة من الواقع هي التي تشكل الأبعاد أو ما يسمى بمكونات المفهوم (Lazarsfeld 1965) و لاستخراج أبعاد مفهوم ما نستعين بالتعريف المؤقت للمفهوم. مثلا: ان موارد الزوجين تحدد سلطتهما العائلية. هذه الفرضية تقيم علاقة بين مفهومين رئيسيين هما: الموارد و السلطة العائلية.

في هذه الحالة يمكن استخراج عدد من الابعاد لمفهوم موارد الزوجين و ذلك انطلاقا من تعريفنا له و تحديدها له كمجموع من الامكانيات سواء كانت مادية، فكرية، اجتماعية يتمتع بها كل زوج و التي تميزه في نفس الوقت عن الآخر.

هذه الصفات الأربعة من الامكانيات تصبح أبعادا للمفهوم.

من خلال المثال الموضح أعلاه، نلاحظ ان التعريف الأولي للمفهوم هو الذي يقود الى هذه الأبعاد، فلو تم تحديد مفهوم الموارد الزوجية خلافا لذلك فان الابعاد تكون هي الاخرى مغايرة.

تعريف البعد: كل ما هو غير ملاحظ و لا يقبل القياس مباشرة، يبقى من صنف الأبعاد التي تمثل المستوى الوسطي بين التصور التجريدي و العام من جهة أي المفهوم، و الواقع الملاحظ من جهة أخرى.

2. مؤشرات بعد المفهوم:

بعد استخلاص من الفرضية حدود أو مفاهيم رئيسية، و بعد تعريفها مؤقتا و ابراز جوانب كل مفهوم أو بدقة أكثر أبعاده التي يجب الاحتفاظ بها، لا بد لنا الآن ترجمة هذه الابعاد الى سلوكيات أو ظواهر يمكن ملاحظتها، وهنا يأتي دور المؤشر.

لإيجاد مؤشرات كل بعد محتمل لا بد على الباحث أن يطرح على نفسه في كل مرة السؤال الآتي: ماهي العلامات الملاحظة في الواقع و التي يمكن من خلالها تحديد هذا البعد؟ يكون ذلك بعودته الى معارفه و تجاربه و كذا حدسه.

فالمؤشرات هي تجليات لأبعاد المفهوم قابلة لموضوعيا للتحديد و القياس.

الشعر الأبيض، الجلد المجعد، الأسنان السيئة ← كلها مؤشرات للشيخوخة.

أنواع المؤشرات: هناك أنواع مختلفة من المؤشرات، مثلا يمكن حساب الدخل و الساعات اللذين يعتبران مؤشرين ذات التقيئة العددية (Numérique)، أما التمدرس و التطورات التكنولوجية فيتم ترتيبهما فهما اذن مؤشرين ذات التقيئة الترتيبية (Ordinale)، أما الانتماء العرقي و الديني فهما يقيمان تميزات، و عليه فهما مؤشرين ذات التقيئة الاسمية.

معرفة نوع المؤشرات المستخدمة مهم جدا، باعتباره سوف يساعدنا في معرفة طبيعة القياس الذي سيتم تبنيه في كل حالة.

فالمؤشرات تمثل الجانب المرئي أو على الاقل الظاهر لبناءات مجردة، و عليه فهي تبين التجسيد الناجح للفرضية.

3. المتغيرات:

للمتغير عدة تعاريف، يتفق علماء المنهجية في حقيقة أن المتغير يرتبط بالمفهوم، باختصار ينحدر المتغير من المفهوم أو المؤشرات و يجعل بالتالي الظاهرة قابلة للقياس.

أنواع المتغيرات:

عادة ما تقدم الفرضية على أنها علاقة بين متغيرين على الأقل، و هذا ما يميزها عن الجملة المبتذلة. فيمكن أن تجزم مثلا الفرضية أنه كلما ارتفع مستوى تمدرس الأم، كلما ارتفعت مثابرة ابنها على الدراسة.

تمدرس الأم $\leftarrow +$ مثابرة الابن على الدراسة.

من خلال هذا المثال الذي يظهر بوضوح العلاقة بين المتغيرين و ان كل واحد منهما لا يحتل نفس المكانة في الفرضية. يقدم أحد المتغيرين و كأنه السبب، انه المتغير المستقل، بطريقة أخرى هذا الأخير يعتمد عليه في تفسير الثاني الذي يمثل النتيجة. و هو ما يسمى بالمتغير التابع، أي الناتج عن فعل الأول.

- المتغير المستقل: يستخدم المتغير المستقل في المنهج التجريبي و يتم مداولته لقياس التأثير في المتغير التابع. نقوم بانتقاء هذا النوع من المتغيرات انطلاقا من الأسباب المتوقعة للظواهر الملاحظة.

- المتغير التابع: ان المتغير التابع، هو ذلك المتغير الذي يجرى عليه الفعل من اجل قياس التغيرات.

- **المتغيرات الوسيطة:** يمكن للواقع الملاحظ أن يكون أكثر تعقيدا من مجرد علاقة سببية بين متغيرين، مما يعني أن متغيرات أخرى، المعروفة بالمتغيرات الوسيطة يمكن ان تتوسط بين المتغيرات المستقلة و التابعة. و عليه يمكن أن تشير الملاحظة الى أن الانتقال من المتغير المستقل الى المتغير التابع لا يتم مباشرة، بل يتطلب ذلك تدخل عامل آخر بين الاثنين.
مثلا: **موسيقى ← تركيز ← تعلم**
متغير مستقل متغير وسيط متغير تابع

و المتغير الوسيط بدوره يتأثر بالمتغير المستقل مثله مثل المتغير التابع و لمنه يؤثر في المتغير التابع و لا يتأثر به.

و بهذا نكون بنينا نموذج للتحليل سيمح للباحث الانتقال من الجانب التصوري الى الجانب العملي حيث ستخضع الفرضيات للواقع لتأكيدهما في المرحلة اللاحقة من البحث العلمي و المتمثلة في مرحلة المعاينة.